

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراس نزيل مرسليليا
(تابع لما قبل)

فصل

في المعلم

ان القدماء والمحدثين من اهل البلاد التي توفر حظها من المدنية كانوا ولا يزالون يقدرون المعلم اي المرتبي أو المؤدب حق قدره ويحجلونه وينزلونه فوق منزلة الطبيب بل فوق منزلة الحاكم لأن الطبيب ان داوى اسقام البدن وشفاها وهيئات فلا يقدر ان يداوي اسقام النفس ويشفيها بل هذا من ولاية المعلم . ولأن الحاكم انما يعاقب الجاني اذا جنى ولكن ليس من ولايته ان يحمله خيراً عزوفاً عن اقتراف الجرائم بل هذا منوط بالمعلم . والحاكم يقيم الحد على الشرير اذا اذنب وقد يقصيه او يقتله ليؤدبه ويريح الناس من شره حيناً ما فمته في ذلك مثل الجراح الذي يقطع من اعضاء الجسم ما كان مؤوقاً ليس سائرهما الا أن المعلم يحاول استئصال الشر من جرثومته وكثيراً ما ينجح في ما يحاوله . لا جرم ان من كان من ولايته ان يمهّد نفس الولد فضلاً عن جسمه ويهتم بلبه ودرسه بل فرحه وترحه لجدير بان يكون عالي المنزلة ولذا كان اليونان يدعون سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من الفلاسفة معلمين وآباء ولا بدع لان المعلم في الحقيقة ابّ ثانٍ للولد وان شئت دعوته اياه الروحاني كما ان الوالد ابوه الجسماني . ولما لم يكن احد في الدنيا أولى من الأبوين بان يبجلهما الولد ويحترمهما وكان المعلم نائباً عنهما في تربيته اذا غابا وشريكاً لهما فيها اذا حضرا كان بحكم الضرورة مستحقاً لشيء من ذلك التيجيل

عنه . وانما استنباه الابوان عنهما في تربية ولدهما لانه قد يتفق ان لا يكون
لهما قِبَلُ بها او كفاة لها اذا حان دورها الثاني او لا يستطيعانها وحدهما لان
اهتمامهما بامر المعاش وتدير المنزل او غير ذلك من الشؤون يصدّهما عن التفرغ
لها . وانت قد عرفت انها امّ واكثر توجّعا من ان تكفيها ساعة او ساعتان من
النهار بل تمضي ممن يتولّاها ان يوفر اوقاته كلّها عليها وان لا يكون له شغل
غيرها وهذا لا يستطيعه الابوان دائما لما قدّم من شواغلها وهب انها
يستطيعانه قد يتفق ان يكونا قليلي الخبرة بتأديب الاولاد في هذا الدور وان
كانا هما من احسن الناس تأديبا لان فنّ التربية ولا سيما التربية الذهنية في
هذا الدور اوسع من ان يحيط بجميع تفاصيله سائر الناس ولذا مست الحاجة
الى مربّ ذي كفاة وخبرة يتفرغ له ودعت الضرورة ايضا ان يستنييه
الابوان عن انفسهما في ذلك ليعينهما ويعين الطبيعة نفسها عليهما . وهذا سبب
قولنا في الفصل المتقدم انه يحسن ان يكون للابوين اطلاع على تربية ولدهما
وهو في الكتاب اي اذا حان دورها الثاني وذلك لانها لا تكون في هذا الدور
كاملة متقنة بقدر الاستطاعة الا اذا عاون الابوان المعلم عليها لانهما اعلم
الناس بما يلائم ولدهما واكثرهم معرفة بسجاياه واخلاقه وشوائبه ومعايه
واولام باطلاع المعلم عليها تسهلا لما يتجشّسه من تهذيبها وتثقيف منادها بالتربية
فصح اذا ان المعلم ابّ ثان للولد ولذا قال الاسكندر يوما انه وان كان
ابن فيليس المكدوني جسما فهو ابن ارسطوطاليس قدسا لانه ان كان فيليس سيّا
لحياته فارسطوطاليس هو الذي علمه كيف يعيش مكرما وما احسن ما قال الشاعر
اقدم اُستاذي على فضل والدي وان كان لي من والدي الفخر والشرف
فذاك مربّي الروح والروح جوهر وذاك مربّي الجسم والجسم من صدف

ولا يكفي ان يكون المعلم ذا كفاءةٍ للتربية وخبرةٍ بها بل ينبغي ايضاً ان يكون ذا محبةٍ للولد تدفعه الى ان يعنى به عناية الوالد بابنه لانه ان لم يكن كذلك لم يستحق ان يدعى اباً ثانياً له . وانما يستحق هذا اللقب من المعلمين من يبذل وسعه في اقتفاء آثار اولئك الافاضل الذين سبقت اليهم الاشارة وينسج على منوالهم ما استطاع . نعم ان ادراك شأوهم امرٌ عسيرٌ لا يستطيعه كل احد بل لا يكاد يرام ولكن لا يكلف الله فساداً الا وسعها . فعلى الانسان الذي ينصب نفسه للتعليم ان يسعى في ان يحذو حذوهم على قدر طاقته لان من يفعل كل ما يقدر عليه قد فعل كل ما يجب عليه والا فليدع امر التعليم والتربية لغيره لانه ان تصدى لما لا قيل له به ولا ليس من اهله كان هو والذين ينصب نفسه لتعليمهم كقائدٍ ذي عى يمتاد عيانا

المطلب الثالث

في تربية البدن

قال احد المتأخرين لو عني بعض الوالدين بتربية اولادهم عنايتهم بتربية انعامهم لم تجد في الناس من الفصعين والمترهين واصحاب العاهات الا عدداً قليلاً بالنسبة الى ما تراه فيهم وانما كثر فيهم مشوه الخلق لقلة التفات الوالدين الى الاعتناء بتربية ابدان الاولاد كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي . ومما هو جدير بالتأمل فيه أنك ترى فيهم من يخوض بلا مبالاة في حديث تربية المواشي او تضيير خيل السباق او تضرية كلاب الصيد حتى لتخاله من فصاحته وانطلاق لسانه قس بن ساعدة فاذا جرى الحديث في امر تربية الاولاد خلت من فهاته وعيه باقلاً . وترى غيره وقد اُنعم عليه بثروة وافرة من صامت وناطق ومستقل وعقار فصار من أحرص الناس على تعهد اسطبله وعلف خيله واستغلال ضيعته

لكنه بقي من اغفلهم عن تعهد حجرة اولاده وعن تفقد غذائهم وانتظام اوقاته .
وترى الآخر وقد احترف الزراعة او تربية السائمة فصار من ادرى الناس بالاماد
الاصحح لانماء الزرع واعلمهم بوجوب اعفاء ثورهم من الحرث وكرب الارض
على اثر تناوله العلف واعرفهم بتسمين المجول والحملان لكنه بقي من اجنلهم
بوجوب اعفاء ولده من الدرس وسائر الاعمال العقلية على اثر تناوله الطعام
واقبله معرفة بالغذاء الاصحح له

فان لمت احد هؤلاء الرجال على اهماله من امر اولاده ما لا يبطله
من امر انعامه لم يحجز ان يقول لك ان تعهد اسطبل الخيل ومذود البقر
وحظيرة الغنم يعنيه لانه ان احسن القيام على الفرس احرز به قصبات السبق
في الميدان وان سمن المجول والحملان باعلا باغلي الاثمان اما تربية ولده فلا
تعنيه بل هي من ولاية الأم او الخادمة . ولعل هذه الام لا تدري من امور
الدنيا سوى التطريز او العزف على البيانو او التكلم بالافرنجية ولعل هذه الخادمة
لا تعرف من امر تربية الاولاد سوى مزاعم واوهام تلقنتها من اهل طبقتها
او من جارة جاهلة مثلاً او اجبل منها الا ان هاتين المرأتين هما في نظر
الاب اكثر كفاءة منه واصحح لتربية ولده

ستأتي البقية

البربر

اذا كان كل علم انما يشرف بشرف موضوعه فالعلم الذي يبحث فيه عن
طبيعة الانسان من حيث هو مفرد في حالته الطبيعية والادبية او مجتمع
تألف من افراد الشعوب في حالتي الهمجية والمدنية لا شك في انه اشرف
العلوم . ولما كان هذا العلم كثير الثنايا والشعاب متوعر المسالك على الطلاب